

سَلَامَةُ آيَةِ اللَّهِ الْمُطَهَّرِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ حُسَيْنٍ فَضَّلَ اللَّهُ (عَامَ ظَلَمِهِ)

علم طريق الأسرة المسلمة



المركز الإسلامي الثقافي

الطبعة الاولى

دار الملاك

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

الطبعة الثانية

المركز الاسلامي الثقافي

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العاد
الرقم
30277

سماحة آية الله العظمى

السيد محمد حسين فضل الله (دام ظله)

4154
F145
C2

على طريق الاسرة المسلمة

المركز الاسلامي الثقافي





اعتدنا في مناسباتنا الاجتماعية ومنها مناسبات الزواج على الاستغراق في أجواء اللهو والعبث البعيدة عن تقاليد الإسلام؛ ورغم ذلك بدأت بعض العائلات الإسلامية في إيجاد تقاليد جديدة مستوحاة من روح الإسلام؛ وذلك بإحياء حفلات الزواج وسط أجواء إسلامية تتضمن المحاضرات والأناشيد الدينية في إطار من المسؤولية والفرح البريء.

وهذه المحاضرة التي كان قد ألقاها سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، في دمشق بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ، الموافق ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٨ م، هي إحدى النماذج التي تجسد هذا الأسلوب الجديد.

وتعميماً للفائدة يسرنا في المركز الإسلامي الثقافي

أن نعيد نشر هذه المحاضرة لتكون منهاجاً لكل شبابنا
وفتياتنا وخصوصاً الذين يأملون من خلال الزواج
تكوين أسرة مسلمة متماسكة البنیان، تعيش روح
المودة والرحمة، وتساهم في بناء المجتمع الرسالي
على قواعد من الخير والصالح.

والله وليّ التوفيق

المركز الإسلامي الثقافي

٥ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ

٦/٦/٢٠٠٣ م

في هذا اللقاء الطيّب الذي نجتمع فيه من أجل الاحتفاء بولادة أسرة مسلمة جديدة، نرجو أن تسير على خطى الإسلام في كلّ ما تعيشه وتمارس من وسائل وأهداف.

في هذا اللقاء الطيّب الذي يحتفظ بأسلوب جديد من أساليب الاحتفاء بالأعراس... نواجه اتجاهًا جديدًا نحو التغيير إلى الأفضل، فيما نمارس من تقاليد، وفيما تعودناه من أساليب الاحتفال بمناسبات الفرح والتعبير عن الغبطة بأساليب اللهو والعبث التي تُغرق الجمهور بالأجواء اللاهية العابثة التي يبتعد فيها الإنسان عن ذاته في غيبوبة النشوة والخدر اللذيذ، الأمر الذي يجعل الإنسان في فيضان عاطفي أو شعوري لا يملك معه إلاّ الذوبان في تيار الشهوات، ممّا قد يثير في المجتمع الكثير من السلبيات الأخلاقية والنفسية.

وقد لا نريد - في هذه الملاحظة - أن نمنع الإنسان من

الأخذ بأسباب اللّهُ، في مناسبات الفرح، أو أن ندعوه إلى أن يخنق مشاعره وعواطفه في أجواء الوقار الجامدة التي تجعله يتجمّد في أوضاعه بعيداً عن كلّ حركة أو تعبير... لأنّ الإسلام لا يمنع الإنسان من ممارسة اللّهُ البريء، بل قد نجد في بعض الأحاديث الشريفة ما يوحى بالدعوة إلى ممارسته، فقد ورد في الحديث :

«ينبغي أن يكون للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يرمُّ بها معاشه، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذّتها في غير محرّم فإنّها عون على تَيْبِنِكَ السّاعَتَيْنِ»^(١).

وقد جاء في الحديث المأثور عن علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر (ع): قال: سألتَه عن الغناء في الفطر والأضحى والفرح؟ قال: لا بأس ما لم يُعص به^(٢)..

لذلك علينا في مناسبات الأعراس والأفراح والاحتفالات. أن لا نستسلم للأجواء اللاهية العابثة، بل نعمل على أن نفسح المجال لوقفه متأمّلة هادئة يقف فيها

(١) أمالي الشيخ الطوسي، ص: ١٤٧.

(٢) ذكره الشيخ الأنصاري في كتاب المكاسب، ص: ٣٠٤.

العروسان، ويشاركهما في ذلك المجتمع من أجل أن يتأملوا في هذه الخطوة الجديدة التي تُعتبر بداية مرحلة جديدة من مراحل الحياة ليكون الدخول إلى الحياة الزوجية بوعي لمسؤولياتها، ومواجهة لنتائج هذه المسؤوليات من أجل أن نتفادى الوقوع في المشاكل المعقدة التي قد تكون نتيجة طبيعية للإقبال غير الواعي على إيجاد هذه العلاقة بعيداً عن كل تفكير. ولهذا استُحِبَّ في بداية الزواج، أو عند إجراء العقد، أن يُلقى الخاطب أو العاقد خطبة يذكر فيها المجتمع بتقوى الله وإطاعة أوامره والانتهاز عن معاصيه، ويعرفه الأسس الروحية التي ترتكز عليها العلاقات الإنسانية في الإسلام، بمختلف الأساليب التي تقتضيها طبيعة الأحوال، ليعيش الطرفان، وأهلوهما الأجواء الروحية الصافية التي تُشعرهم بالمستوى الأمثل لهذه العلاقات في الإسلام... وقد يقتضي الحال أن تُذكر في هذا المجال، التشريعات الإسلامية للزواج في تحديدها لعلاقة الزوج بزوجته وعلاقة الزوجة بزوجها فيما لهما من حقوق، وفيما عليهما من واجبات... فإن إثارة هذه الأمور قد تهَيء الجوَّ لحياة زوجية واعية من ناحية تشريعية، بالإضافة

إلى المفاهيم الإسلامية العامة...

وقد لا نجد في الأحاديث المأثورة للخطب التي رُويت في هذا السبيل مثل هذه التفاصيل، ولكن لا نعدم استحياء ذلك من أفكارها العامة التي لا تحصر الفكرة في إطار ضيق محدود بل تُطلقها في المجالات الإسلامية العامة.

إنَّ الانطلاق من موقع المسؤولية في أيِّ موقع من مواقع الحياة يساعد على إيجاد الشخصية المتماسكة الثابتة الخطى في مهبِّ الرياح والتي تمثل الإنسان القويَّ صاحب الموقف، لا الإنسان الضعيف المهزوز الذي لا يتماسك أمام الزعازع، فإنَّ الإنسان - الفرد أو الإنسان - المجتمع الذي يتحرَّك في حياته على أساس التيارات التي تدفع الحياة من بعيد، سواء في ذلك تيار العادات أو تيار التقاليد أو غيرهما، يظلَّ محكوماً في مسيرته، بقوة اندفاع التيار دون أن يستطيع الاحتفاظ بخطاه أو الوقوف في أيِّ موقع من مواقع اندفاع هذا التيار أو ذلك، وبذلك يعود مجردَّ صدى للآخرين، أو مجردَّ خشبة في مجرى التيار، لا يملك أن يريد أو لا يريد، ولا يستطيع أن يؤيد أو لا يؤيد. إنَّنا نشعر بضرورة أن نقف في كلِّ مرحلة من مراحل

الحياة أمام تقاليدنا وعاداتنا وقفة تأمل وهدوء لنحاكم
الفاسد منها أو نناقش الجامد الذي تجاوزه الزمن فلم يعد
يمثل أي شيء يوحى بالحركة والحياة، لنعزل عن حياتنا
كل الأشياء المضرّة، ونناقش كل الأوضاع القلقة، ونحاكم
كل الأساليب التي كانت وليدة مراحل سابقة قد تجاوزتها
خطوات الحياة.

ونحن هنا في محاولة جادة لوضع النقاط على
الحروف في عدة جوانب من واقع الأسلوب المتبع في
طريقة الزواج، والعمل على توضيح بعض مشاكله أمام
حلولها الإسلامية.





قد نطرح على أنفسنا سؤالاً محدداً أمام قضية الزواج في الإسلام...

لماذا الأسرة؟

ولماذا هذه العلاقة الزوجية المعقدة؟

ربما نستوحي من القرآن الكريم أن قضية الزواج والنزوع إلى تكوين الأسرة، ينبعان من الشعور العميق بالحاجة إلى أن يكمل الإنسان - رجلاً وامرأة - ذاته من خلال ارتباطه بالجنس الآخر، انطلاقاً من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، الكامنة في تكوينه الإنساني الذي تختلط فيه الحاجة الروحية إلى الزوجية، بالحاجة الجسدية إلى إرواء الرغبة في إطار روحي حميم... الأمر الذي يدفع بالإنسان إلى الشعور الدائم بالقلق الروحي الذي يفترس طمأنينته، فيؤدّي به إلى البحث عن الفرصة

التي تحقق له ذلك .

وقد نستطيع التعرف على طبيعة هذه الفطرة، من خلال ملاحظة النماذج الإنسانية التي قد تندفع إلى إرواء الغريزة إلى حد كبير، بعيداً عن إطار الزواج ولكنها تظل تعيش الحنين والرغبة إلى أجواء الزوجية لأنها تشعر بالفراغ الكبير الذي يغمر حياتها في ظل العزوبية، مهما حاولت أو توحى لنفسها بالامتلاء، فإننا نجد في ذلك أنَّ قضية الحاجة إلى الزواج ليست هي الحاجة إلى إرواء الغريزة أو إشباعها، بل هي - بالإضافة إلى ذلك - حاجة روحية إلى الاتحاد الروحي والجسدي مع إنسان آخر...

وهذا ما نستوحيه من الآية الكريمة في قوله تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

فقد نلاحظ في الآية التأكيد على الوحدة في أصل الخلقة والتكوين، للإيحاء بالحالة النفسية التي تحدثها لدى الطرفين.. وذلك في فقرة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ..

ونلاحظ - إلى جانب ذلك - التركيز على أنَّ الغاية هي

حصول الطمأنينة والسكينة الروحية التي يشعر الإنسان -
من خلالها - أنه وجد ذاته بتمامها... وتكتمل الصورة في
اعتبار المودة والرحمة أساساً للعلاقة في طبيعة التكوين .

وقد يُلَفَت نظرنا - ونحن نتابع التشريعات الإسلامية -
أنَّ الإسلام يريد للزوجين أن يعيشا الشعور الروحي
المرتبط بالله حتى في بداية الممارسة الجنسية لئلا يتحوّل
الزواج في شعور الزوجين إلى عملية جسدية خالصة لا
ترتبط بالمعاني الروحية، بل يعود علاقة تمتزج فيها المادة
بالروح في عملية اتحاد وتكامل انطلاقاً من الخطّ
الإسلامي الأصل الذي يريد للإنسان أن يسير عليه في
كلّ أفعاله وأقواله وعلاقاته، في تزواج الجانب الروحي
والجانب المادي للحياة؛ فقد ورد في الأحاديث الماثورة عن
أئمة أهل البيت بعض التعاليم التي تجعل من بداية الحياة
الزوجية صلاة خاشعة لله، وتأكيداً على الجانب الشرعي
للعلاقة، من أجل الإحياء بالطبيعة العملية للسلوك في
الحاضر والمستقبل، فقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر
الصادق (ع) قال: إذا دخلت بأهلك فخذ بناصيتها
واستقبل القبلة وقل:

«اللهم بأمانتك أخذتها وبكلماتك استحلتها فإن

قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً تقيّاً، ولا تجعل
للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً»^(١).

وقد جاء عن الإمام محمد الباقر (ع) - في حديثه إلى
بعض أصحابه - «إذا دخلت فمرهم قبل أن تصل إليك أن
تكون متوضّية، ثم أنت لا تصل إليها حتى تتوضّأ
وصلّ ركعتين ثم مجّد الله وصلّ على محمد وآل محمد
ثم ادعُ ومُرْ مَنْ معها أن يؤمّنوا على دعائك وقل: اللهم
ارزقني ألفها وودّها ورضاها وأرضني بها واجمع بيننا
بأحسن اجتماع وآنس ايتلاف فإنك تحبّ الحلال
وتكره الحرام»^(٢).

وفي حديث الإمام جعفر الصادق (ع) إلى بعض
أصحابه، قال: «إذا أراد الرجل أن يتزوَّج المرأة فليقل:
أقررت بالميثاق الذي أخذ الله «إمساكُ بمعروف أو
تسريحٌ بإحسان»^(٣).

إننا نشعر ونحن نتابع هذه الكلمات الطيبة أنّ الإسلام

(١) وسائل الشيعة، ج: ٢٠، باب: ٥٥ من مقدّمات النكاح وآدابه.

(٢) المصدر السابق، حديث: ١١.

(٣) المصدر نفسه: حديث: ٤.

يريد للزواج أن يبدأ من خلال المسؤولية الروحية والعملية، لا من خلال النهم الغريزي الذي يريد إشباعه... ولعلّ القيمة الكبيرة لهذا الجو أن يفتح قلب الإنسان وروحه على طبيعة الخطوات التي يجب أن يخطوها في هذا السبيل فيتحرّك من خلال الوعي المنفتح على الله، لا من خلال العادة العمياء التي تسير على غير هدى.



وقد نستشعر من الآية الكريمة في تأكيدها على «السكن» و«المودة والرحمة» كتابع يطبع الحياة الزوجية في مفهوم الإسلام، نوعية الأجواء التي يريد للزوجين أن يعيشاها في ظلّ حياتهما الجديدة.. فليست هي الأجواء التي يحقق فيها كل واحد منهما مصالحه الذاتية، أو أطماعه الخاصة لدى الآخر، وليست هي الأجواء التي تتحقّر فيها الشهوة الغريزية المجردة لتكون الأساس المتين لبناء هذه الحياة.. بل هي الأجواء التي تؤكد الإنسانية فيها ذاتها عندما تنطلق العلاقة من منطلق إنساني رحيب صافٍ يشعر فيه كل طرف بأنّه مشدود إلى طرفه الآخر برباط المودة والمحبة؛ الأمر الذي يجعل كلاً منهما باحثاً عما لدى الآخر من أسس المحبة الدائمة المرتكزة على التأمل

والتفكير لئلا تكون مجرد عاطفة طارئة لا تلبث أن تتضاءل أو تذوب أمام حالات الرغبة المضادة..

وإذا استطاعا أن يعيشا هذا الشعور العقلاني بالمحبة والموءة، فستخضع حياتهما المشتركة للعفوية والعطاء والسماح في كل ما يجد فيها من متاعب ومشاكل وآلام.

ثم نجد في كلمة «الرحمة» إحياءً جديداً بطبيعة العلاقة الزوجية من جانب آخر، وهو الجانب الذي يتصل بالفهم الواعي المسؤول لدى كل منهما عن الآخر من خلال ظروفه العائلية والنفسية والاجتماعية.. فإذا عاش كل منهما ظروف الآخر أمكنه أن يتعامل معه على أساس تقديره لتلك الظروف، ويتعايش معه من خلال محاولة الانسجام. مهما أمكن. مع الأجواء التي تفرضها، والمشاعر التي تخلقها في داخل النفس... فيبتعدان. في هذه الأجواء. عن الأنانيات الذاتية التي تحطم الحياة الزوجية عندما يندفع كل منهما ليفكر بنفسه بعيداً عن مصلحة رفيقه.. فيبدأ بالبحث عن أفضل السبل لاستغلال هذه العلاقة لمصلحه ومزاجه وأطماعه... وتأتي الرحمة لتبدل كل هذه المشاعر والوسائل فيتجه التفكير. من جديد. إلى أن هناك حياة مرتبطة بحياته، وأن للإنسان الآخر الذي يعيش معه،

أجواء فكرية وروحية ونفسية تختلف عن أجوائه فيما عاشه من بيئة مختلفة عن بيئته وأسلوباً في التربية مختلفاً عن أسلوب تربيته، وتأثيرات عاطفية وفكرية متنوعة لا تتفق مع التأثيرات التي شاركت في تكوين شخصيته، فيعمل على مراقبة ذلك كله عندما يتعامل مع الكلمة التي يُنطقها، أو الحركة التي يُطلقها، أو العمل الذي يقوم به.. الأمر الذي يرفع تجسيد الرحمة من مستوى الشعور الطيب الساذج إلى مستوى الممارسة، فيرحم كلُّ منهما آلام الآخر وأحلامه وتطلّعاته من خلال تأثيرها في حياته.. حتى الخطأ الذي يريد إصلاحه لا بدّ من التعامل معه برفق وحكمة، لئلا يحوِّله إلى عقدة بدلاً من تحويله إلى صواب.. وبذلك تتحوّل الحياة الزوجية إلى «سكن» يسكن إليه كلُّ منهما في حياته الداخلية والخارجية حيث يعيشان الهدوء الروحي والعقلي بعيداً عن المشاحنات والمنازعات التي تشوّه جمالها وتُسيء إلى طبيعتها الرحبة.

وأحسب أننا لو عشنا المودة والرحمة على هذا الأساس، لاستطعنا أن نخفّف كثيراً من المشاكل الزوجية المرتكزة على إهمال كلِّ طرف ما لدى الطرف الآخر من

ظروف ومؤثرات، وعلى «الأنانيّة» التي توحى للإنسان
بالواجبات الملقاة على عاتق صاحبه تُجاهه من دون تفكير
بالحقوق المترتبة عليه.





قد نجد في نظام الأسرة في التشريع الإسلامي تركيزاً على جانبين أساسيين من جوانب تربية الشخصية الإنسانية مما قد لا يتوفر في غيرها بشكل دقيق:

الجانب الأول:

التدريب العملي على التدرّج في حمل المسؤولية

في الحياة الزوجية يتحمّل كلّ من الطرفين مسؤوليته تجاه الطرف الآخر، كما يشتركان في حمل المسؤولية تجاه الأولاد، ممّا يحقق لأيّ منهما تجربة جيّدة في مواجهة المسؤوليات العامة والخاصة، فينطلق إلى الحياة من موقع الشعور بالمسؤولية على أساس أنّ له حقوقاً على الآخرين في مقابل ما لهم عليه من حقوق وواجبات، وبذلك يستطيع أن يضع يده على طبيعة الزيادة والنقصان في حقوقه وحقوق الآخرين... ولعلّ ذلك هو

الذي توحى به الآية الكريمة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨). فلم تجعل للرجال إلا درجة واحدة يتميزون بها في قوامة الرجال على المرأة التي استحقها (الرجل) نتيجة بعض الميزات الطبيعية، وقيامه بمسؤولية الانفاق على البيت الزوجي. وربما في تخفيف النظرة المتعالية التي ينظر بها الرجل إلى دوره إزاء المرأة، ليعرف أن القضية ليست قضية سيادة وعبودية بل قضية مراعاة بعض الميزات الأساسية المحدودة من الناحية العامة.

وإذا استطاع الزوجان أن يعيشا المسؤولية والوعي والعمق والامتداد أمكنهما أن يحصلوا على ذهنية تواجه أبعاد المسؤولية بعملية حسابية دقيقة لا تستسلم للعاطفة، ولا تنهار أمام الانفعالات، واستطاعا - من خلال نجاحهما في هذه التجربة الصغيرة - أن يحققا النجاح في مجالات المسؤوليات الأخرى في الحياة التي قد تكبر وتصغر تبعاً للظروف العامة والخاصة التي تفرض نفسها على الإنسان.

الجوَّ الروحي والعاطفي للأولاد داخل الأسرة

قد نجد في جوَّ الأسرة ما لا نجده في غيره من المؤثرات العميقة التي تشارك في البناء الروحي والعاطفي للطفل. فإنَّ التربية أو الرعاية لا تُعتبر في هذا الجوَّ وظيفة يمارسها الأبوان بروحيَّة المهنة، بل تُعتبر رسالة يحملانها من خلال المشاعر الداخليَّة المشبعة بالعاطفة والحنان.. وبذلك يعيش الطفل في تغذية عاطفيَّة ممزوجة بروح الأبوة والأمومة مما يجعله في حالة إشباع عاطفيٍّ مستمر، وشعور عميق بالالتصاق بمنابع الحياة التي تمده بالشعور الدائم بالأمن والطمأنينة والقوَّة، بعيداً عن كلِّ الحالات التي توحى بالفراغ واليأس والضياع. ولعلَّ من بديهيَّات الأمور أنَّ الرعاية كلَّما توفَّرت للطفل بشكل مباشر، كلَّما كانت العناية أكثر والإحساس بالتجاوب أعمق، فإنَّ هناك فرقاً واضحاً بين أن يحصل الإنسان على الرعاية والعناية بشكل خاص، وبين أن يحصل عليها في ضمن مجموعة كبيرة، فقد نجد في المشاعر والنتائج التي تتركها الرعاية الخاصة، الغنى الكبير الذي لا نجده في الحالة الشاملة التي يتحوَّل فيها الإنسان إلى رقم من

الأرقام الكثيرة في قائمة المسؤولين العامة .

وبكلمة واحدة: إنَّ قيمة الأسرة، هي في هذا الجو الذي
تتيحه للطفل في الارتواء العاطفي الذي يوحى له بالمحبة
والحنان والامتلاء ويجعله موضع الاهتمام والرعاية
المباشرة من الأبوين ممّا لا تتيحه له المحاضن الكبيرة التي
تتحوّل الحاضنات فيها إلى موظّفات يمارسن المهمة
بعقليّة المهنة، لا بروحيّة الرسالة ممّا يفسح المجال للمزيد
من الجفاف الروحي والإهمال التربوي .





ومن خلال هذا العرض الموجز، نشعر بأن مؤسسة الزواج التي تفسح المجال لنظام الأسرة الواحدة، هي من المؤسسات التي تؤدي وظيفة إنسانية يجب أن نحافظ عليها، وأن نكفل لها الامتداد والتركيز، فنقف أمام الدعوات التي تُطلق من هنا وهناك لتدعو إلى الثورة على هذا النظام، بحجة أنه يشتمل على سلبيات كثيرة، ولكنها لا تحاول النظر إلى إيجابياته، لتكون القضية المطروحة هي الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، فيكون الحكم أكثر اتزاناً وأقرب للواقعية والعدالة. فما هي السلبيات المنظور إليها لنظام الأسرة وما هي الإيجابيات في مواجهتها؟

مع سلبیات نظام الأسرة

إنَّنا نواجه كثيراً من التيارات الحديثة، فيما نقرأ، وفيما نشاهده في بعض الاتجاهات التي تحارب الأسرة كنظام والزواج كمؤسسة، على أساس أنَّ الأسرة تخنق حريَّة الفرد، رجلاً أو امرأة، وتحبسه في نطاق ضيق لا يستطيع معه أن يمارس حريَّته في حياة اللهو والعبث وفي الانطلاق حيث يريد كما يريد، وقد يحلو لبعضهم أن يربط القضية بحقوق المرأة وحاجتها إلى تأكيد إنسانيَّتها، على أساس أنَّ نظام الأسرة يحولُّها إلى إنسانة لا شغل لها إلاَّ الحمل والولادة والرضاع والحضانة مما يقتضيها إهدار طاقاتها الأخرى التي تستطيع من خلالها تقديم العطاء الأكبر للإنسانيَّة.

وقد يجد البعض في نظام الأسرة جواً خانقاً ضيقاً يحبس الأطفال في الإطار المحدود الذي تتحرَّك فيه عقليَّة الأبوين، فيتأثَّر به ويتجمَّد.. وقد يؤدِّي ذلك إلى الفوضى في التفكير لدى الأمَّة عندما تتنوع ذهنيَّة أبنائها وتختلف وتتناقض تبَّعاً للذهنيَّات المتنوعة للآباء المختلفين في عقليَّاتهم وتفكيرهم.

ويحاول هؤلاء أن يضعوا البديل لنظام الأسرة، في المحاضن الكبيرة التي تحوّل الأعداد الكبيرة من الأطفال إلى أسرة كبيرة واحدة تشرف عليها مربّيات متخصصّات بأحدث وسائل التربية والرعاية، حيث تتوفّر لهم الحياة الجماعية الواسعة والتربية الموحّدة، في الوقت الذي توفّر للأباء والأمّهات الحرية الكاملة في ممارسة حياتهم على حسب ما يشتهون وتفجير طاقاتهم المتنوّعة كما يريدون، بعيداً عن ضغوط المسؤوليّات المترتبة على الأبوة والأمومة من خلال نظام الأسرة.

وقد يضيف بعضهم إلى ذلك أننا لا نحتاج إلى إعطاء العلاقات الجنسيّة صفة الشرعيّة في إطار الزواج، لأنّ مهمّة الزواج هي المحافظة على النوع البشري إلى جانب الاستجابة للحاجة الغريزيّة... ونحن لا نشعر بالضرورة إلى إخضاع ذلك للقوانين التي تجعل للعلاقة حدودها الشرعية القانونية، وقد يطرح البعض موضوع الوسائل الحديثة في استيلاد الأولاد كالتلقيح عبر الأنبوب ونحو ذلك، ممّا يجعل قضية امتداد البشريّة في الوجود خاضعة للمزارع المستقبلية للإنسان تماماً كمزارع الدجاج وغيره، الأمر الذي يلغي متاعب الحمل والولادة بالنسبة للمرأة.

الإيجابيات تتحدّى السلبيات

ربّما يفكّر بعض الناس بالنحو الذي ذكرناه، ولكنّ هذا التفكير لا يعطي لعلاقة الرجل والمرأة أيّ بُعدٍ روحيّ، بل يعتبرها قضيةً ماديّةً ككلّ القضايا الماديّة الجامدة الجافّة الخاضعة لنظام الآلات والأرقام... حتى قضية الأطفال ليست إلّا قضية وجود أو نشأة أيّ نوع من الحيوان أو النبات أو الجماد، فهو شيء كالأشياء التي تخضع للقوالب الجاهزة الجامدة...

ولكنّا لا نستطيع السير معهم في هذا المجال، لأنّ هذا الاتجاه قد يحقّق بعضاً من الإيجابيات، ولكنه يخلق الكثير الكثير من السلبيات التي تتحدّى النمو الطبيعي للإنسان في طفولته وشبابه وحياته كلّها.. ونحن لا نريد الدخول في جدل فلسفي عميق أو عقيم، بل كلّ ما نريد أن نقدّمه أمام هذه الفكرة، في هذه الوقفة الخاطفة هو التجربة المريرة التي عاشها الإنسان من خلال انحلال الأسرة وتفكّكها في حياة الإنسان المعاصر في البلدان الغربيّة، على أساس من مفاهيم الحرية اللامسؤولية وعلى أساس من العقليّة الماديّة الجامدة. فإنّنا نشاهد أمامنا الواقع الذي ابتعد فيه الإنسان تدريجياً عن جوّ الأسرة، في أجواء

الفتيات، وفي أجواء الشباب من الأبناء والبنات.. وهكذا في جيل الآباء والأمهات.. فقد تحولت الأسرة عندهم إلى سجن كبير، وأصبح البيت الذي يجتمعون فيه يمثل فندقاً صغيراً يتجمع فيه خليطٌ متنوعٌ من الناس لا يشعرون فيه بآته رابطة تربطهم ببعضهم، فكلٌ منهم حرّيته حسب هواه، ولكلٌ منهم أوضاعه وعلاقاته حسب رغبته، ولا مجال للحنان والعاطفة في حياتهم من قريب أو بعيد..

وهكذا وجدنا لدى هذا الجيل جفافاً في الإنسانية، وشعوراً بالضيق، وإحساساً عميقاً بالعبث في ممارسة الإنسان للحياة. وهكذا بدأت «الصرعات» التي تجتاح أوروبا وأميركا وغيرهما من خلال الشعور العميق بالجفاف الروحي والجذب العاطفي، مما يغريه بالهروب من واقعه، والتمرد على طريقة الحياة فيه، فقد تحولت علاقته بأبويه وبالناس كافة إلى علاقة تخضع للأرقام الحسابية في كلِّ مجالاتها، ولا تخضع لأية دوافع روحية يعطيه منها الآخرون ما يملأ روحه وحياته وما يزيد في نموّه العاطفي والنفسي.

إننا نشاهد في هذه التجارب البسيطة التي لم تقتلح - حتى الآن - الأسرة كنظام وإنما خففت من أجوائها فأبعدت

الأسرة عن أجوائها الطبيعيّة.. إننا نشاهد الإنسان، وهو يعيش الجفاف والقسوة ويتحوّل إلى إنسان جائع، لا للمال ولا للشهوات، بل هو جائع للحنان وللعاطفة، تماماً كالطفل الذي يعيش هذا الجوع في بدايات أيامه. إنّ الإنسان يتحوّل الآن إلى طفلٍ كبيرٍ يعيش الحاجة إلى العطف والحنان اللذين فقدهما في طفولته عندما ابتعدت الأسرة عن معانيها الروحيّة، ولهذا فإننا نعيش الآن في زمن الأطفال الكبار الذين يبحثون في طفولتهم الجديدة عن الروح التي تجعل من طفولتهم الجديدة شيئاً حياً يبني لهم روحهم كما يبني لهم ماديتهم...

أمّا حديث الافاق الضيقة، والحريات الإنسانيّة وغير ذلك ممّا أثاره هؤلاء، فإنّه لا يزيد عن إثارة بعض السلبيّات أمام الفكرة، ولكنها سلبيّات لا تثبت أمام الإيجابيّات الكثيرة، ولا تثبت أمام النقد... لأنّ الحياة كفيلة بتوسعة الآفاق الضيقة التي قد يعيشها الطفل من خلال أبويه، كما أنّ التربية المتقدّمة الموحّدة، قد توقّر لأبناء الأمة تفكيراً موحّداً من خلال المناهج الموحّدة... بل ربما نجد في تنوّع ذهنيّة الآباء واختلافها خصباً جديداً في تنوع الذهنيّات وتحريكها لئلا تتجمّد عند أفق واحد... فيعطي

كل أسلوب منها معنى جديداً للحياة عندما تبدأ الطاقات بالتفجر والانفتاح.

أما حديث حقوق المرأة وحرية الأبوين، فقد لا نجد في ما يغري بالتفكير والمناقشة لأن هذا النظام لا يجمّد الحريات بل يضعها في إطار المسؤولية، ولا يهدر الحقوق وإنما ينظّم لها مسارها وحركتها في حياة الإنسان.

ومهما انطلقت السلبيات هنا وهناك في هذا النظام، فإننا نرى أن السلبيات التي يفرزها النظام البديل تهدّد حيوية الحياة في أعماق الإنسان وتهدم له روحيته، وتجفّف في داخله ينابيع الرحمة والحنان.

ولهذا فإننا نصرّ ونؤكد على الاحتفاظ بالأسرة كنظام، وبالزواج كمؤسسة لأنّ الإنسانية لم تجد البديل الأفضل الذي يمكن أن تسير عليه في الاتجاه الآخر؛ وقد لا نجد مانعاً من التوفّر على دراسة سلبيات هذا النظام ومحاولة تقليلها وتخفيفها من خلال العمل على سلامة التطبيق.



هل الزواج شركة أم وحدة؟

قد نجد في بعض الكلمات، التعبير عن الزواج بأنه شركة بين الزوجين، فهل هذا صحيح؟

ربّما يقصد هؤلاء بالكلمة المعنى الذي يوحي بعدم الحرية للطرفين في ممارساتهما الحياتية كما كانا قبل الزواج، تماماً كالشريكين في المال اللذين يفقدان الحرية المطلقة التي كانا يملكانها قبل الشركة، فقد كان كلُّ واحد منهما حراً في ماله يتصرّف به كما يشاء ولكنه فقد هذه الحرية - بعد الشركة - فأصبح من واجبه أن يستشير شريكه فلا يتصرّف بما لا يرضيه أو بما لا يتفق مع مصلحته... وهكذا نستطيع اعتبار الزواج شركة حياة... تربط بين حياتين من خلال ارتباط الإرادتين بتوحيدهما فلا حرية لأيٍّ منهما خارج نطاق الحقوق الزوجية

وعلى ضوء ذلك فالتعبير صحيح... فإنَّ هذه العلاقة تفرض على كلِّ منهما التزامات جديدة إزاء الآخر ممَّا لا يملك معه أمر الهروب منه أو الانفلات من قيوده.

أمَّا إذا قصد هؤلاء المعنى الماديَّ للشركة التي تجعل من الزواج مؤسسة مادية تخضع للمصالح المتبادلة، وترتكز على الوظائف الماديَّة في هذا المجال على أساس القانون التبادليِّ التجاريِّ، فهذا ما لا نوافق عليه.

إذ إنَّ العلاقة الزوجيَّة ارتكزت في المفهوم الإسلامي القرآني على أساس المودة والرحمة التي تمتدَّ في حياة كلِّ منهما امتداداً روحياً يؤكِّد الجانب الإنساني في حياتهما المشتركة، ويوحِّد الحياتين في شعور واحد عميق حتى ليتحوَّل كلُّ منهما إلى لباس للآخر ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وليس معنى ذلك أن لا يكون للجوانب المادية أثر في هذه العلاقة بحيث تتحدَّد فيها الحقوق والواجبات. فهناك المهر وهناك النفقة والعلاقة الجنسيَّة، وغير ذلك من شؤون الحياة المعيشيَّة. ولكنَّ مثل هذه الأمور لا تتجمد

عند حدود الجوانب القانونية الإلزامية، بل تأخذ لنفسها الامتداد في العطاء العفوي الكريم حتى يمارسها كلٌّ من الطرفين من دون حساب بعيداً عن كلِّ التزامات مؤكّدة أو ملزمة.

وعلى ضوء هذا نجد أنّ في نظام الحياة الزوجية الإسلامي نوعين من الالتزامات، فهناك التزامات قانونية إلزامية ينفّذها الشرع بقوة القانون، وهناك التزامات أخلاقية تنبع من الاحساس العميق بالعلاقة الروحية التي تربط الزوجين ببعضهما من دون أن يكون هناك أيُّ ملزم قانوني يلزمهما به؛ وهذه هي التي جعلها الإسلام مساحات وفراغات يعطي فيها لكلٍّ من الزوجين المجال في تحقيق إنسانيّته في داخل الحياة الزوجية من خلال العطاء بلا مقابل. مثال ذلك أنّنا حينما نواجه الحقوق الزوجية بين الرجل والمرأة نجد أنّ الإسلام لا يحمل المرأة في داخل البيت الزوجي - من وجهة نظر قانونية - أية مسؤوليّة من مسؤوليّات خدمة البيت، لأنّه لا يريد لها أن تدخله بإحساس الخادمة التي تعيش انسحاق الذات وقهر الإرادة، في خدمتها لزوجها ولأولادها بل أراد لها أن تدخل الحياة الزوجية من الباب الواسع الذي تشعر فيه

بأنها إنسانة تعيش إنسانيّتها في حرية الإرادة في داخل البيت، فلم يكلّفها بأيّ شيء ممّا تعارفنا على تكليفها به، ولكنه - في الوقت نفسه - أراد لها من ناحية رويّة وأخلاقيّة، على أساس طبيعة العطاء الإنساني، أن تقوم برعاية زوجها وأولادها بلا مقابل - وإن كان لها الحق في طلب العوض المادي - واعتبر لها ذلك جهاداً، فقد ورد في الحديث «**إنّ جهاد المرأة حسن التبعل**»^(١) أي أن تكون زوجة صالحة لزوجها فتقدّم له ما تستطيع تقديمه بكلّ محبة وإخلاص.

وهكذا يمكن أن نجد المثل في حقوق المرأة على الرجل فقد لا يجب عليه إلّا أن ينفق عليها النفقة المتعارفة، فليس ملزماً بكلّ ما تتمنّى أن تجده في حياتها فيما تعارفنا على بذله لها. ومع ذلك فقد أراد الإسلام للرجل أن يوسّع على عياله، فقد ورد عن الإمام عليّ الرضا (ع): «**إنّ عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه بنعمة فليوسّع على أسرائه فإن لم يفعل أوشك أن تزول النعمة**»^(٢). وسرّ ذلك هو أنّه يريد للرجل أن يعيش العطاء في هذا المجال وأن

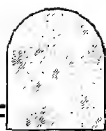
(١) الكافي، ج: ٥، ص: ٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج: ٣، ص: ٥٥٥.

يعطي من نفسه ما لا يجب عليه ...

وهكذا يريد الإسلام لكلا الزوجين أن يعيشا روح العطاء الإنساني، بالإضافة إلى التقيد بالحدود الإلزامية التي أرادها الله من الزوج، وهي المعاشرة بالمعروف والإنفاق على الزوجة، وعلى الزوجة، أن لا تمنعه من نفسها في كلِّ حالٍ إلاَّ في حالات العذر الشرعي، وأن لا تخرج من بيته إلاَّ بإذنه في غير الحالات الضرورية والحرجية، وفيما لا يتنافى مع حقوقه الزوجية الخاصة ...





نتوقّف هنا أمام بعض الأوضاع والعادات والمشاكل التي تحوّل دون المحافظة على طبيعة ما يريده الشرع الإسلامي لهذا النظام من سهولة وسماحة وواقعية وانسجام، وتعمل على تعقيد الزواج وتأخيرته وتفسح المجال لكثير من السلبيات في هذا المجال.

- مشكلة غلاء المهور

إنّنا نلاحظ في تقاليدنا الاجتماعية، أنّ المهر يرتفع كلّما ارتفع مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية للزوجين، على أساس ما يمثّله المهر من قيمة اجتماعية للمرأة، فالمرأة التي تحصل على مهر كبير تُعتبر - في نظر مجتمعها - امرأة ذات وزن خطير ومستوى رفيع، وقد أدّى هذا إلى تعقيد الحياة الزوجية في كثير من المجتمعات وتأخير سنّ

الزواج لدى الرجل والمرأة، لأنَّ الكثيرين من الشباب ينطلقون في حياتهم من موقع ماديٍّ أو اجتماعي عادي، فيشعرون بالعجز عن مواجهة هذا المستوى المرتفع من المهور، لا سيَّما في مثل هذه الظروف الاقتصادية الصعبة، فيضطُّرون إلى تأخير الزواج، وربَّما يدفعهم ذلك، في مثل أجواء الانحراف الأخلاقي، إلى الانحراف في أكثر من جانب، وفي أكثر من وسيلة...

إنَّنا نريد مواجهة هذا الواقع من ناحية موضوعية واقعية ومن ناحية شرعية إسلامية، وسنجد في نهاية المطاف واقعاً لا يشجّع صاحبه على الامتداد فيه..

أمَّا من الناحية الموضوعية، فقد نتساءل: لماذا المهر؟ إنَّ المهر في الإسلام يمثِّل رمزاً من رموز الاحترام والمحبة من الرجل للمرأة، ولهذا عبَّر القرآن عنه بكلمة «النَّحْلَة» التي تمثِّل العطية بلا مقابل.

لماذا المهر؟ هل هو عنصر تأمين للمرأة في حياتها، أو عنصر ضمان لامتداد الحياة الزوجية باعتباره يشكِّل عنصر ثقة للمرأة في امتناع الرجل عن طلاقها إذا كان المهر ثقيلاً. هل هذا هو ما يمثِّله المهر في عقد الزواج؟

ربّما يُخيّل لبعض الناس، أنّ المهر كلّما كان كبيراً كلّما اضطرّ الرجل إلى الإبقاء على علاقة الزوجيّة مهما كانت الظروف... ولكن هذه الفكرة خاطئة لأنّ الزوج لا يخلو من أن يكون أحد شخصين، فإمّا أن يكون ممّن يخاف الله ويعيش الشعور بالمسؤوليّة، وإمّا أن يكون ممّن لا يخاف الله ولا يشعر بالمسؤوليّة، فإذا كان من الصنف الأول، فلا بدّ له من أن يهيّئ لزوجته الحياة الطيّبة من ناحية المعاشرة والإنفاق من دون حاجة إلى أيّة ضغوط ماليّة أو غير ماليّة، لأنّ المؤمن يقف عند حدود الله من موقع إيمانه، لا من موقع خارجي، وهذا هو الضمان الأفضل لسلامة الزواج واستمراره. وإن كان من الصنف الثاني، فلا يصلح المهر لأن يكون ضماناً أكيداً، لأنّ أخلاقه المنحرفة قد تدفعه إلى بعض الممارسات اللاأخلاقية تجاه زوجته بالمستوى الذي يدعوها إلى أن تبذل له من مالها الخاص زيادةً على مهرها حتى تتخلّص من ظلمه وقسوته.

وقد يعتبره البعض عَوْضاً عمّا تبذله المرأة من نفسها للرجل، أو ثمناً لها. وربّما يوحي بهذا أسلوب المفاوضات والمزايدات والمناقصات الذي جرى عليه الناس عند عقد

الزواج، كأنَّ القضيَّةَ قضيَّةَ سلعةٍ معروضةٍ في المزاد العلني أو السريِّ ولكن بطريقةٍ شرعيَّةٍ أو عصريَّةٍ.

ولكن هذا أشدُّ خطأً، لأنَّنا ذكرنا أنَّ الإسلام اعتبره (المهر) نحلة لا عوضاً، وقد يوحى بهذا طريقة التعبير في عقد الزواج، عندما يبدأ الزواج بقول المرأة زوّجتك نفسي على مهر قدره كذا، بدلاً من كلمة بـ «مهر» التي تفيد معنى العوّضيَّة، وإن كان جائزاً، ولكن العوّضيَّة بالمعنى الشرعي ليست واردة على كل حال.

وعلى ضوء هذا نجد أنَّ اعتبار كثرة المهر قيمةً للمرأة تزيد في ميزانها الاجتماعي ليس صحيحاً، بل الأمر بالعكس فإنَّ ذلك يهدر كرامتها ويحوّلها إلى بضاعة وسلعة. ولذا فإنَّ من الأولى للمرأة أن ترتفع بكرامتها عن هذا المستوى باعتبار أنَّ نفس المؤمن لا تقدَّر بأيِّ ثمن مهما كبر وارتفع وغلا...

وأما من الناحية الإسلامية، فقد ورد في الحديث عن رسول الله (ص): «إِنَّ شَوْمَ الْمَرْأَةِ غَلَاءٌ مَهْرُهَا»^(١)، وجاء في الحديث عن الإمام الصادق (ع): «زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) راجع وسائل الشيعة، ج: ٢١، الباب: ٥٠.

فاطمة على درع حطمية تساوي ثلاثين درهماً»^(١).

وقد جاء عن الإمام محمد الباقر (ع) أنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي فقالت: زوّجني، فقال رسول الله من لهذه، فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، زوّجنيها، فقال: ما تعطيها، فقال: ما لي شيء قال: لا، فأعادت، فأعاد رسول الله الكلام فلم يقم أحدٌ غير الرجل، ثم أعادت، فقال رسول الله في المرة الثالثة: أتحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، قال: قد زوّجتها على ما تحسن من القرآن فعلمها إياه...»^(٢).

وهكذا نجد أن المهر لا يمثل قيمة إسلامية للمرأة بل قد تمثل كثرته عاملاً ضدّ القيمة كما نفهمه من اعتبار ذلك شؤماً، وقد نلاحظ في بعض الأحاديث، اعتبار كثرة المهر سبباً من أسباب العداوة، فقد روي عن الإمام عليّ (ع) قال: «لا تغالوا بمهور النساء فتكون العداوة»^(٣).

ولعلّ سبب ذلك هو ما يُحدثه غلاء المهر من إرهاق

(١) وسائل الشيعة، ج: ٢١، باب: ٥، حديث: ٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج: ٢١، باب: ٢، حديث: ١.

(٣) وسائل الشيعة، ج: ٢١، باب: ٥، حديث: ١٢.

مادي للزوج فيخلق لديه عقدة ضدّ الزوجة، وقد يتعاضم هذا الشعور فيتحول إلى إحساس دائم بثقل الحياة الزوجية عليه من خلال المهر الكبير الذي يلزمه دفعه مما يُثقل عليه أمر حياته.

وبكلمة واحدة: إنّ غلاء المهر لا يشكّل أيّ عنصر من عناصر نجاح الحياة الزوجية، بل ربّما يحدث العكس من ذلك فيكون وسيلة من وسائل الفشل والإرهاق، فلذا ينبغي للعاملين في الحقل الاجتماعي والأخلاقي أن يعملوا على محاربة هذه العادة السيئة، ليسهلوا للشباب طريق الزواج بما يؤمنه من أجواء العصمة عن الحرام من أقرب طريق.

ـ مشكلة التعقيد في البيت الزوجي

لقد أصبحت الشروط في تحضير البيت الزوجي لإتمام عملية الزواج معقّدة جداً بالمستوى الذي يصعب معه إتمام الزواج. فلا بدّ لمن يريد الزواج في هذه الأيام أن يفتح بيتاً يشتمل على أكثر من غرفة وأكثر من نوع من أنواع الأثاث؛ وهذا هو أحد الأسباب الاجتماعية في تأخير الزواج لدى الشباب والفتيات في كثير من أوساط البلاد الإسلامية.

ونحن نتساءل عن السبب في هذا التقليد، فإذا كانت العلاقة الزوجية تنطلق من موقع الحاجة الذاتية لكلٍّ من الطرفين فلماذا نضع الحواجز أمامها ونتركها عرضة للانحراف أمام هذه الشروط المادية المعقّدة؟

أمّا إذا كانت العلاقة الزوجية خاضعة للحاجة إلى الاستقرار في بيت يؤمّن للزوجين الدخول في الحياة الاجتماعية المستقرّة، فلماذا يجب أن يكون هذا البيت بالمستوى الكبير الذي يُرهق ميزانيتهما منذ البداية؟ فمن الممكن، من زاوية إسلامية أن يبدأ الحياة الزوجية من نقطة الصفر ويتعاونوا في بناء العش الزوجي، ولعلّ أفضل مَثَلٍ عندنا في القدوة الإسلامية هو مَثَلُ العلاقة الزوجية بين سيدتنا فاطمة الزهراء (ع) وبين سيّدنا الإمام عليّ (ع)، فقد ورد في الحديث أنّهما كانا يحدثان رسول الله عن حالتهما ومتاعبهما، وأنّهما كانا يملكان جلد كبش ينامان عليه في اللَّيل ويعلفا عليه ناضحهما (بغيرهما) في النهار، ولم يكونا مالكين إلّا للشيء الزهيد جداً من متطلبات الحياة الزوجية، فلم يمنعهما ذلك من أن يبدأ حياة زوجية ناجحة. وقد تقدّم حديث الرجل الذي زوّجه رسول الله، دون أن يملك شيئاً من حطام الدنيا سوى

ثقافته القرآنية التي اعتبرها النبي مهراً إسلامياً للزوجة .
وقد يقول قائل: إنَّ المجتمع كان فقيراً آنذاك . فقد كان
من المجتمعات البدائية التي لا تملك قدرة اقتصادية معقّدة،
كما هو الحال الآن .

ولكنَّ القضية ليست كذلك فقد كان مجتمع المدينة الذي
يضم اليهود والنصارى من أكثر المجتمعات غنى في تلك
المنطقة، فقد كانت المدينة تتمتع بثروة زراعية جيّدة إلى
جانب المركز التجاري ...

إنّنا نشعر بضغط الواقع الاجتماعي والاقتصادي في
حياة الشباب والفتيات سواءً على مقاعد الدراسة، أو في
أجواء العمل، أو في أيّ مجال آخر من مجالات الحياة
ونعتقد بضرورة العمل على أن نتخطّى هذه الضغوط التي
توجب تأخير الزواج فنواجه المشكلة مواجهة واقعية
تعتمد على الدراسة العميقة الشاملة للواقع وتعمل على
تحطيم هذه الحواجز لنفسح المجال لزيجات بسيطة تبدأ
من إمكانيات عادية، إن لم تبدأ من نقطة الصفر . وبهذا
يمكننا أن نشجّع زواج الطلاب والطالبات، في مقاعد
الدراسة لحماية أنفسهم من الانحراف على أساس البيت

الطالبي الذي يمثل غرفة واحدة بسيطة في طبيعتها وفي أثاثها. وإذا كان البعض يثير قضية الأولاد ومسؤولية تربيتهم والقيام بالإنفاق عليهم ممّا لا يتناسب مع إمكانية الزوجين في فترة الدراسة. فإنّ لدينا، في معالجة ذلك، مجالاً كبيراً للاجتهادات الإسلامية المعاصرة التي تبيح تنظيم النسل بالوسائل المشروعة لمنع الحمل بشكل أو بآخر مما يمكن أن يفسح المجال لبداية الزواج دون موانع. إنّ علينا إذا أردنا التخلّص من ضغوط الواقع الصعبة أن نواجه مشاكلنا بصراحة، ولا نهرب منها وندفن رؤوسنا في الرمال.

- مشكلة المستوى الطبقي

قد تملك الفتاة كل مقاييس الكفاءة الأخلاقية ولكنّ الشاب أو أهله يتطلّبون إلى جانب الكفاءة الأخلاقية، مستوى اجتماعياً أو اقتصادياً قد لا تملكه الفتاة. أو تكون القضية بالعكس، فيقف المركز الاجتماعي والمستوى الاقتصادي حائلاً عن إتمام الزواج.

أمّا موقف الإسلام من هذه الحالة فهو الرفض المطلق انطلاقاً من المخطّط الذي اعتبره الإسلام أساساً للحياة

الإنسانية العامة في علاقات الأفراد ببعضهم، وهو تذويب الفروق الطبقيّة والعرقية في إطار العلاقة الإنسانية المرتكزة على الدين الصحيح والخلق السليم؛ لأنّ الدين الصحيح والخلق السليم هما الأساس في نجاح أيّة علاقة من الناحية العملية.

فالدين يمنع الإنسان من الإضرار بأخيه الإنسان ويدفعه إلى الالتزام الواعي بما يلتزمه من عقود وعهود تطبيقاً للشرعية الإسلامية في الوفاء بالعقد والعهد على هدى الآيتين الكريمتين: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤) وبذلك يعيش الشعور بالمسؤوليّة أمام الأهواء الفاسدة.

أمّا الخُلُق السليم فإنّه يبعث الإنسان على التسامح والعفو والمغفرة، ومواجهة المشاكل في العلاقات بالروح المنفتحة التي تبحث عن الأحسن في الكلمة والأسلوب والحركة، مما يهيئ الجو الصالح للحلّ الأفضل لأيّ مشكلة معقّدة، لأنّ تعقيد الكثير من المشاكل ينطلق من فقدان الروحيّة التي تساهم في الوصول إلى الحلّ.

وهذا هو المقياس الذي أطلقه النبيّ (ص) في حديثه

الشريف المأثور: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ
فَرُجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ»^(١).

وقد نلاحظ في هذا الحديث التحذير الصارخ للمسلمين
في حالة الانحراف عن هذا المقياس بالوقوع في الفتنة
والفساد الكبير الذي يشمل الحياة كلّها.. وهذا هو ما
نواجهه في التقاليد والعادات المنحرفة التي اعتبرت النسب
والمركز والمال أساساً للقبول والرفض، ممّا ساهم في بقاء
الروح الطبقية والعنصرية في المجتمع، وعطلّ بالتالي
الخطة الإسلامية الموضوعة في اتجاه توحيد الإنسانية
على أساس القيم والمبادئ المتمثلة في الخلق والدين،
بعيداً عن كلّ اعتبار آخر.

- النبي (ص) يزوّج ابنة عمّه للمقداد

ولعلّ الأسلوب العملي الأمثل هو أسلوب التزاوج بين
الطبقات المختلفة والعناصر المتنوعة، والأنساب المتفاوتة،
فإنّ ذلك يحطّم كلّ المشاعر المضادة التي تخضع
للاعتبارات الطبقية والعنصرية والنسبية. وهذا هو ما

(١) الكافي، ج: ٥، ص: ٣٤٧.

حاوله النبي محمد (ص) في تخطيطه الشامل للزواج، وفي تطبيقه العملي في الزيجات التي ارتبط بها، أو التي سعى فيها في تزويج بعض قريباته لأناس أقل مكانة منهن. فقد ورد في الحديث عن رسول الله (ص) - فيما رواه عنه الإمام جعفر الصادق (ع) قال: «إن رسول الله (ص) زوج ضبيعة بنت الزبير بن عبد المطلب من مقداد بن الأسود، فتكلمت في ذلك بنو هاشم. فقال رسول الله (ص): إنما أردت أن تتضع المناكح...» وفي لفظ آخر في هذا الحديث، قال الإمام الصادق (ع): «إنما زوجه لتتضع المناكح وليتأسوا برسول الله (ص) ولتعلموا إن أكرمكم عند الله أتقاكم وكان الزبير أخا عبد الله وأبي طالب لأبيهما وأمهما»^(١).

- قصة زواج جويبر من الذلفاء

وتتحدث السنة النبوية عن بعض الحالات التي كان يضغط فيها النبي (ص) على بعض الأشراف ليزوجوا البسطاء من أجل التأكيد على المبدأ عملياً.

وفي حديث الإمام محمد الباقر (ع) أن رجلاً كان من

(١) فروع الكافي، ج: ٣، ص: ٢١٢.

أهل اليمامة يقال له جُوَيْرِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (ص) مُنْتَجِعاً
لِلْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَكَانَ رَجُلًا قَصِيرًا
دَمِيمًا مُحْتَاجًا عَارِيًا، وَكَانَ مِنْ قَبَاحِ السُّودَانِ فَضَمَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ (ص) لِحَالِ غَرَبَتِهِ وَعَرَاهُ، وَكَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ
طَعَامًا صَاعًا مِنْ تَمَرٍ، بِالصَّاعِ الْأَوَّلِ، وَكَسَاهُ شِمْلَتَيْنِ
وَأَمْرُهُ أَنْ يَلْزِمَ الْمَسْجِدَ وَيَرْقُدَ فِيهِ اللَّيْلَ. فَمَكَثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ
اللَّهُ حَتَّى كَثُرَ الْغُرَبَاءُ مِمَّنْ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ
الْحَاجَةِ بِالْمَدِينَةِ وَضَاقَ بِهِمُ الْمَسْجِدُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ
(ص) أَنْ طَهَّرَ مَسْجِدَكَ وَأَخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ مَنْ يَرْقُدُ فِيهِ
بِاللَّيْلِ وَمُرَّ بِسَدِّ أَبْوَابٍ مَنْ كَانَ لَهُ فِي مَسْجِدِكَ بَابٌ إِلَّا بَابَ
عَلِيٍّ وَمَسْكَنَ فَاطِمَةَ، وَلَا يَمُرَّنَ فِيهِ جُنُبٌ، وَلَا يَرْقُدُ فِيهِ
غَرِيبٌ، قَالَ: فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِسَدِّ أَبْوَابِهِمْ إِلَّا بَابَ
عَلِيٍّ (ع) وَأَقَرَّ مَسْكَنَ فَاطِمَةَ (ع) عَلَى حَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَمَرَ أَنْ يَتَّخِذَ لِلْمُسْلِمِينَ سَقِيفَةً، فَعُمِلَتْ
لَهُمْ وَهِيَ الصَّفَّةُ، ثُمَّ أَمَرَ الْغُرَبَاءَ وَالْمَسَاكِينَ أَنْ يَظْلُؤُوا فِيهَا
نَهَارَهُمْ وَلَيْلَهُمْ فَنَزَلُوهَا وَاجْتَمَعُوا فِيهَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
(ص) يَتَعَاهَدُهُمْ بِالْبُرِّ وَالتَّمَرِ وَالشَّعِيرِ وَالزَّبِيبِ إِذَا كَانَ
عِنْدَهُ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَعَاهَدُونَهُمْ وَيَرْقُونَ عَلَيْهِمْ لِرَقَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَيَصْرِفُونَ صَدَقَاتَهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ رَسُولَ

الله (ص) نظر إلى جويبر ذات يوم برحمة منه له ورقة
 عليه، فقال له: يا جويبر لو تزوّجت امرأة فعففت بها
 فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك، فقال له جويبر: يا
 رسول الله بأبي أنت وأمي من يرغب فيّ، فوالله ما من
 حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال، فأية امرأة ترغب فيّ
 فقال له رسول الله (ص): يا جويبر إن الله قد وضع
 بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرف بالإسلام
 من كان في الجاهلية وضيعاً، وأعزّ بالإسلام من كان في
 الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة
 الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها؛ فالناس
 اليوم كلّهم أبيضهم وأسودهم وقرشيهم وعربيهم
 وعجميّهم من آدم وإنّ آدم، خلقه الله من طين، وإنّ أحبّ
 الناس إلى الله عزّ وجل يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم،
 وما أعلم - يا جويبر - لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً
 إلّا لمن كان أتقى لله منك وأطوع. ثم قال له: انطلق يا
 جويبر إلى زياد بن لبيد فإنّه من أشرف بني بياضة حسباً
 فيهم فقل له: إنّني رسول رسول الله (ص) إليك وهو يقول
 لك: زوّج جويبراً ابنتك الذلفاء. قال: فانطلق جويبر
 برسالة رسول الله إلى زياد بن لبيد، إنّني رسول رسول

اللَّهُ إِلَيْكَ فِي حَاجَةٍ لِي فَأُبَوِّحُ بِهَا أُمَّ أُسْرُهَا إِلَيْكَ؟، فَقَالَ لَهُ
 زِيَادُ: بَلْ بُحُّ بِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ شَرَفٌ لِي وَفَخَرٌ، فَقَالَ لَهُ جُوَيْبِرُ:
 إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لَكَ: زَوْجُ جُوَيْبِرَ ابْنَتِكَ الذَّلْفَاءُ، فَقَالَ
 لَهُ زِيَادُ: أَرَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَكَ إِلَيَّ بِهَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ مَا كُنْتُ
 لِأَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: إِنَّا لَا نَزَوِّجُ فَتَيَاتِنَا
 إِلَّا أَكْفَاءَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَانْصَرَفَ جُوَيْبِرُ وَهُوَ يَقُولُ:
 وَاللَّهِ مَا بِهِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَلَا بِهِذَا ظَهَرَتْ نَبُوءَةُ مُحَمَّدٍ
 (ص). فَسَمِعْتُ مَقَالَتهِ الذَّلْفَاءُ بِنْتُ زِيَادٍ وَهِيَ فِي خَدِرِهَا،
 فَأَرْسَلْتُ إِلَى أَبِيهَا: أَدْخِلْ إِلَيَّ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَا
 هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنْكَ تَحَاوِرَ بِهِ جُوَيْبِرًا؟ فَقَالَ لَهَا:
 ذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَرْسَلَهُ وَقَالَ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ
 (ص) (زَوْجُ جُوَيْبِرَ ابْنَتِكَ الذَّلْفَاءُ فَقَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ
 جُوَيْبِرُ لِيكَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِحَضْرَتِهِ، فَابْعَثْ
 الْآنَ رَسُولًا يَرُدُّ عَلَيْكَ جُوَيْبِرًا، فَبِعَثْتُ زِيَادَ رَسُولًا فَلَحِقَ
 جُوَيْبِرًا، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: يَا جُوَيْبِرُ مَرْحَبًا بِكَ أَطْمَئِنَّ حَتَّى
 أَعُودَ إِلَيْكَ، ثُمَّ انْطَلَقَ زِيَادُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالَ لَهُ
 بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ جُوَيْبِرًا أَتَانِي بِرِسَالَتِكَ وَقَالَ: إِنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لَكَ: زَوْجُ جُوَيْبِرَ ابْنَتِكَ الذَّلْفَاءُ، فَلَمْ أَلْنِ لَهُ
 بِالْقَوْلِ، وَرَأَيْتُ لِقَاءَكَ، وَنَحْنُ لَا نَتَزَوِّجُ إِلَّا أَكْفَاءَنَا مِنَ

الأنصار. فقال له رسول الله (ص) يا زياد: جويبر مؤمن
 والمؤمن كفؤ للمؤمنة، والمسلم كفؤ للمسلمة فزوجه يا
 زياد ولا ترغب عنه. قال: فرجع زياد إلى منزله ودخل
 على ابنته فقال لها ما سمعه من رسول الله (ص)، فقالت
 له: إنك إن عصيت رسول الله كفرت فزوج جويبراً. فخرج
 زياد فأخذ بيد جويبر ثم أخرجه إلى قومه فزوجه على
 سنة الله وسنة رسوله (ص) وضمن صداقه. قال:
 فجهزها زياد وهيئوها، ثم أرسلوا إلى جويبر فقالوا له:
 ألك منزل فنسوقها إليك، فقال: والله ما لي منزل. قال:
 فهيئوها له وهيئوا لها منزلاً وهيئوا فيه فراشاً ومتاعاً،
 وكسوا جويبراً ثوبين. وأدخلت الذلفاء في بيتها وأدخل
 جويبر عليها معتماً، فلما رآها نظر إلى بيت ومتاع وريح
 طيبة، قام إلى زاوية البيت، فلم يزل تالياً للقرآن وراكعاً
 وساجداً حتى طلع الفجر، فلما سمع النداء خرج وخرجت
 زوجته إلى الصلاة فتوضأت وصليت الصبح، فسئلت هل
 مسك؟ فقالت: ما زال تالياً للقرآن وراكعاً وساجداً حتى
 سمع النداء فخرج. فلما كانت الليلة الثانية فعل مثل ذلك
 وأخفوا ذلك من زياد. فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك
 فأخبر بذلك أبوها، فأنطلق إلى رسول الله (ص) فقال له:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله أمرتني بتزويج جويبر، ولا
 والله ما كان من مناكحنا، ولكن طاعتك أوجبت عليّ
 تزويجه، فقال له النبي (ص) فما الذي أنكرتم منه؟ قال: إنا
 هيأنا له بيتاً ومتاعاً، وأدخلت ابنتي البيت، وأدخل معها
 معتماً، فما كلمها ولا نظر إليها ولا دنا منها. بل قام إلى
 زاوية من البيت فلم يزل تالياً للقرآن راکعاً وساجداً حتى
 سمع النداء، فخرج ثم فعل مثل ذلك في الليلة الثانية ومثل
 ذلك في الليلة الثالثة، ولم يدن منها ولم يكلمها إلى أن
 جئتك، وما نراه يريد النساء فانظر في أمرنا، فانصرف
 زياد وبعث رسول الله (ص) إلى جويبر فقال له: أما تقرب
 النساء؟ فقال جويبر... بلى يا رسول الله... فقال له
 رسول الله: قد خُبرتُ بخلاف ما وصفتَ به نفسك قد ذكر
 لي أنهم هيأوا لك بيتاً وفراشاً ومتاعاً أدخلت عليك فتاةً
 حسناء عطرة، وأتيت معتماً، فلم تنظر إليها ولم تكلمها
 ولم تدن منها فما دهاك إذن؟ فقال له جويبر: يا رسول الله
 دخلت بيتاً واسعاً ورأيت فراشاً ومتاعاً وفتاةً حسناء
 عطرة، وذكرْتُ حالي التي كنتُ عليها وغربتني وحاجتني
 ووضعتي وكسوتي مع الغرباء والمساكين، فأحببت إذ
 أولاني الله ذلك أن أشكره على ما أعطاني، وأتقرب إليه

بحقيقة الشكر، فنهضت إلى جانب البيت فلم أزل في صلاتي تالياً للقرآن راکعاً وساجداً أشكر الله حتى سمعت النداء فخرجت فلماً أصبحت رأيت أن أصوم اليوم ففعلت ذلك ثلاثة أيام بلياليها، ورأيت ذلك في جنب ما أعطاني الله يسيراً، ولكني سأرضيها وأرضيهم الليلة إن شاء الله. فأرسل رسول الله إلى زياد فأتاه فأعلمه ما قال جويبر فطابت أنفسهم قال: ووفى لها جويبر بما قال^(١).

هذا الحديث الطويل يمثل وثيقة حيّة في التأكيد على الخطأ الإسلامي في الكفاءة في الزواج من ناحية النظرية والتطبيق كما أنه ينقلنا إلى تلك الأجواء الرائعة التي كان المسلمون فيها يخضعون لكلمة الرسول دون أي توقف حتى فيما ترفضه عاداتهم وتقاليدهم، سواء في ذلك الرجال والنساء مما يدلّنا على مدى ما يتمتّعون به من وعي ورحابة أفق وصدق إيمان. وهذا ما يتجسّد في هذه الفتاة المؤمنة التي أثارها رفض أبيها لهذا المؤمن الفقير الذي يُعتبر رفضاً لكلمة رسول الله الذي يعادل الكفر عندها فوقفت في وجه أبيها حتى أجبرته على أن ينفذ كلمة رسول الله (ص) وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا

(١) فروع الكافي، ج: ٧، باب: ٢١٢.

كَانَ الْمُؤْمِنَ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿٣٦﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ثم نرى هذا النموذج الرائع للإنسان الفقير الذي واجه الموقف بروح الإسلام فلم يضعف أمام رفض طلبه بحجة اختلافه مع العادات والتقاليد، بل أعلن احتجاجه على الانحراف عن خط الإسلام ممن يعتبرون أنفسهم مسلمين، بعيداً عن اعتبار الموقف مرتبطاً بشخصه بالذات أو غير مرتبط به، ثم لم تبطره النعمة عندما أقبلت إليه ولم يطغه الموقع الجديد الذي انتقل إليه في الوسط الاجتماعي، بل تواضع لله شكراً لنعمته. وتلك هي النماذج الصادقة في إيمانها وفي مواقفها.

- الإمام زين العابدين (ع) يتزوج جاريته، وعبد الملك يعترض

وهناك قصة أخرى حدثت للإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) تؤكد على هذا الخط من خلال الممارسة العملية الواعية.

فقد روى الكليني في كتابه الكافي، بسنده عن يزيد بن حاتم قال: كان لعبد الملك بن مروان عينٌ (جاسوس)

بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وأنَّ علي بن الحسين (ع) أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين: أمَّا بعد، فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنَّه كان في قریش من تمجّد به في الصبر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين (ع): أمَّا بعد فقد بلغني كتابك تعنّفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنَّه كان من نساء قریش من أتمجّد به في الصبر وأستنجبه في الولد، وإنَّه ليس فوق رسول الله مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم وإنّما كانت ملك يميني خرجت مني، أراد الله عزّ وجلّ منّي بأمر التمسّت ثوابه ثم ارتجعته على سنّته ومن كان زكياً في دين الله فليس يخلّ به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة وتمّم به النقيصة وأذهب اللؤم فلا لؤم على امرئ مسلم إنّما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشدّ ما فخر عليك علي بن الحسين (ع) فقال: يا بني لا تقل ذلك فإنّها ألسنُ بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر، إنّ علي بن الحسين يا بني يرتفع من

حيث يتّضع الناس^(١).

إنَّه الخطّ الإنساني الذي لم تبلغ الإنسانية مداه حتى الآن. فهو الذي يقول لك: إنَّك تساوي في حساب إنسانيّة الإسلام خُلُقك ودينك. تلك هي قيمتك إذا كنت تبحث في حياتك عن طبيعة القيمة، ولن يكون هناك أي رقم حسابي ينطلق في اتجاه المال أو النسب أو المركز أو اللون أو العرق فإنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم.

إنَّنا بحاجة إلى مواجهة هذا الواقع مواجهة إسلاميّة حاسمة لتتفادى الكثير من المشاكل العاطفيّة والاجتماعيّة التي يواجهها جيل الشباب والفتيات عندما يصطدمون بحاجز المال والمركز والنسب فيحوّل بينهم وبين الانطلاق مع عواطفهم الطاهرة ومشاعرهم الطيّبة التي يعيشون معها رويّة الحياة الزوجيّة في صدق وحنان، وبذلك نحصل على الانسجام الفكري والعاطفي والعملّي بين ما نؤمن به من الخطّ الإسلامي الأصل للحياة، وبين ما نمارسه في حياتنا العمليّة من مواقف... وذلك هو سبيل الإسلام للبقاء والامتداد في وجدان أتباعه، وفي خطواتهم في الحياة...

(١) فروع الكافي، ج: ٥، باب: ٣٤٥.

العناصر الطارئة في اختيار الزوجة

أ- عنصر الجمال

قد نجد في طريقة الاختيار للزوجة، أن الكثيرين يتجهون إلى اعتبار الجمال عنصراً أساسياً في الفتيات اللاتي يريدون الاقتران بهنّ، بل ربّما يكون هو العنصر الأساسي الوحيد كما نجده في الحالات الكثيرة التي يحصل فيها الحب من أول نظرة، الأمر الذي يبعث على تأكيد الرغبة التي تنتهي إلى الزواج في نهاية المطاف.

نتيجة التركيز على عنصر الجمال في الزواج انطلقت أجواء الانحراف لتوجّه ذهنيّة المرأة إلى الاهتمام بالجوانب الجماليّة الجسديّة كقيمة أساسيّة كبيرة في حياتها، باعتبارها الناحية التي تثير اهتمام الرجال ومحبتهم وتجعلها مرغوبة لديهم. وقد ساهم ذلك في تطوّر الانحراف في خطين:

الأول: تطوّر عمليات التجميل بالوسائل المصطنعة سواء في ذلك بما تنتجه دُور الأزياء من ألوان الأزياء ومستحضرات التجميل التي تستنزف الكثير من الجهد والاهتمام والمال والقلق النفسي المستمر الذي يبحث عن

كل جديد يحفظ للجمال حيويته أو شكله.

الثاني: الإتجاه إلى عبادة الجسد من جانب المرأة في عملية استغراق ذاتي بما تملكه من عناصر جمالية جسدية. ومن جانب الرجل في سعيه الدائب إلى عبادة الجمال المادي بعيداً عن كل جمال روحي. وهذا ما أدى بالسلوك الاجتماعي في علاقة الرجل بالمرأة وبالعكس إلى الانحراف ومواجهة الحياة من موقع الرغبة والشهوة والمتعة. فتنوعت الأجواء الاجتماعية في تقديم أحدث الوسائل في مجالات اللهو لتلبية هذه النوازع ومواجهة الحاجة الملحة إلى تعميق هذه الأمور في واقع الحياة.

كذلك كان للتركيز على عنصر الجمال وإعطائه كل القيمة في اختيار الزوجة آثار انعكست سلباً على علاقات الزواج وقد نجدها في:

١- فشل كثير من الزوجات التي ارتكزت على عنصر الصورة الجمالية بعيداً عما يختفي وراء الصورة من ذهنية وروحية وسلوك، لأنَّ الرغبة المجنونة لا تسمح للعقل أن يتوقّف قليلاً عند المحطات الذاتية التي تدفعه إلى التأمل والتفكير من أجل اتخاذ الموقف الهاديء العميق.

فإذا هدأت الرغبة، وبدأت الحياة تطرح نفسها على العلاقة الزوجية من خلال قضاياها اليومية المتنوعة ومشاكلها الآنية المعقدة التي تبحث في الزوجة عن الفكر العميق والخلق القويم، والذهنية المنفتحة التي تجعل شريكاً للحياة لا للفراش فحسب، فستنفتح الهوة من جديد لتقع في مشكلة جديدة تبحث عن حلّ أو عن مشاركة في الحل، فيكون الموقف زيادة في تعقيدها كنتيجة للفهم السقيم والعقلية الضيقة والانفعال الأهوج.. وتنتهي القضية إلى الحياة في الجحيم لو قُدِّر للحياة الزوجية أن تستمر في مثل هذه الأجواء القلقة، أو تنتهي إلى الطلاق الذي قد يهدم بسلبياته كثيراً من جوانب الحياة المشتركة للزوجين وللأولاد.

٢- تحديد الفترة الزمنية لقوة الزواج وحيويته بالفترة التي تستمرّ فيها الزوجة في المحافظة على جمالها أو بالعمر أو بالصورة أو بغير ذلك من حالات الصحة والقوة والنشاط ممّا يعطي للتجربة عنصر الحيوية والنجاح. فإذا ذُبُلَ الجمال أو تقدّم العمر أو تبدّلت الصورة وزالت الصحة أو دبّ الوهن، فَقَدَت العلاقة مبررَها وسرّ قوتها وتحولت الحياة في وعي الزوج المفتون بالجمال فحسب

إلى عبء ثقيل يدفعه إلى مزيد من المخاصمات والمواقف الظالمة التي يحاول من خلالها التنفيس عن العقدة المكبوتة في داخل النفس .

٣ - تفريغ العلاقة الزوجية من طبيعتها الإنسانية التي توحى للطرفين بالموودة والرحمة والسكينة من خلال وعي الدور التكويني الذي هيأ كلاً منهما للآخر كعنصر مكمل لذاته التي تبحث عمّا يملأ الفطرة في وجود الرفيق من الجنس الآخر... ما يبعث أياً منهما إلى الدراسة الواعية للطاقات المتوفرة لدى رفيقه، ليستثمرها ويستفيد منها وينسجم معها في تفجير طاقاته الروحية والفكرية والعملية، وممارسة مسؤوليته من خلال موقعه الطبيعي في هذه العلاقة، فلا يتجاوز دوره إلى دور آخر لا علاقة له به، وهذا لا يتوفر إلا من خلال الفهم الإنساني لهذه العلاقة. أما إذا انطلقت العلاقة من موقع الرغبة الحيوانية التي لا ترى في المرأة إلا جسداً مشحوناً بالرغبة، فإن العلاقة ستتحول إلى اعتبار المرأة وسيلة للمتعة الحسية فحسب، وستتأثر أوضاعها بهذه الذهنية لتخضع كل التصرفات لهذا التفكير وربما يؤدي ذلك إلى الأنانية في ممارسة الرغبة إنطلاقاً من شعور الرجل بحاجته الذاتية

بعيداً عن الإحساس بالجانب الإنساني الذي يفرض عليه التفكير برغبتها من موقع التفكير بإشباع رغبته الحسيّة.

ب - عنصر المال في اختيار الزوجة

قد نجد الكثيرين يتجهون إلى الجانب المالي للزوجة من أجل أن يحصلوا على ما تملكه من رصيد مالي، انطلاقاً من العقلية المادية التجارية التي ترى في الزواج إحدى الوسائل التي تؤدي إلى الربح وتحقيق الثروة من أقرب طريق، سواء في ذلك الأشخاص الذين يملكون المال ويريدون مضاعفته من خلال الزواج، أو الأشخاص الذين لا يملكون شيئاً منه، ويعملون على الحصول عليه من خلال ذلك.

وقد يساهم هذا الاتجاه في عملية اختيار الزوجة في سلبيات عديدة تتصل بكرامة الزوج من جهة، باعتبار شعور المرأة بأنّها قد اشترته كزوج، تماماً كما تشتري آية بضاعة تحتاجها من السوق، وقد تتصل برغباته الذاتية عندما يُقدم على التزويج بإنسانة لا تملك الصفات المؤهلة لإسعاده من الجمال والكمال وغيرهما من الأمور التي ترضي رغباته ونوازعه كما في الكثيرين من الشباب

الذين يقترون بالعجائز أو كبيرات السن طمعاً في أموالهن ... وقد تتصل بطبيعة الحياة الزوجية عندما تتعرض للانهيـار كنتيجة لجفاف المنابع المالية أو للحصول على ما يريد منها من مال ... تماماً كأيّة شركة تتعرض للخسارة أو تفقد فرص الربح ...

ج - اشتراك العنصرين

قد يشترك الجانبان - الجمالي والمالي - في إفساد حياة الرجل والمرأة وحياة الآخرين، عندما تتّجه العلاقات المبنية على الرغبة والمصلحة إلى استغلال ذلك في التوصل إلى مراكز ومواقف سياسية أو اجتماعية تمسّ حياة الرجل أو حياة الناس؛ فيما إذا كان الرجل يملك القوة التي تؤهّله للتدخل في القضايا العامة والخاصة للناس ... فتنتقل المرأة بأسلحتها الجمالية أو المالية لتوجيه خطواته العملية في أيّ موقع من مواقع السلطة إلى تقديم من يجب تأخير أو تأخير من يجب تقديمه أو إعطاء من لا يستحق العطاء، أو منع من لا يستحق المنع، أو إفساد جانب من جوانب حياة الأمة، وغير ذلك من الأمور التي لا تتوافق مع مبادئه

وأخلاقه انطلاقاً من تركيزها على نقطة الضعف في ذاته
إزاء فتنة الجمال وسطوة المال.



وقد وقف الإسلام موقفاً حاسماً في هذا المجال. فأراد
أن يوجّه الإنسان إلى تعميق النظرة إلى العناصر
الأساسية في العلاقة الزوجية بالتأكيد على الجوانب
الدائمة التي تملك الاستقرار والثبات واستبعاد الأمور
الطارئة التي تعيش في إطار زمان معين أو حالة معينة،
فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (ص) أنه قام
خطيباً فقال :

«أيُّها الناس إياكم وخضراء الدّمن، قيل: يا رسول
الله وما خضراء الدّمن، قال: المرأة الحسناء في المنبت
السوء...»^(١).

فقد نلاحظ في هذا الحديث التأكيد على دراسة البيئة
التي نشأت فيها الفتاة ومدى تأثيرها في تكوين
شخصيتها من ناحية الأخلاق والسلوك العام، والتحذير
من الاستغراق في الجمال الجسديّ بعيداً عن الوعي

(١) الكافي، ج: ٥، ص: ٣٤٥.

الشامل للجوانب التي تجعل من العلاقة علاقة ناجحة
وسليمة. عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر (ع) قال: «أتى
رجل النبي يستأمره في النكاح فقال له رسول الله
(ص): إنكح وعليك بذات الدين تربت يداك»^(١).

وفي حديث هشام بن الحكم عن أبي عبد الله (جعفر
الصادق) (ع): «إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها
وكل إلى ذلك. وإذا تزوّجها لدينها رزقها الله الجمال
والمال....»^(٢).

وهكذا نجد الحسّ الديني لدى المرأة أساساً لعملية
الاختيار الصالح في نظر الإسلام، وذلك لأنّ التدين الحق
يحوّل المرأة إلى عنصر خير في عواطفها ومشاعرها
وتفكيرها وسلوكها يدفعها إلى عدم الاندفاع وراء
الانفعالات الشريرة وعدم التدخل فيما لا يعنيه، ويقودها
إلى إطاعة زوجها في غير معصية الله وتقديس الحياة
الزوجية حتى على حساب أعصابها وعواطفها طلباً لما عند
الله سبحانه. وذلك هو الفرق الكبير بين الإنسان الذي
يعتبر هدفه في الحياة تحقيق رضا الله، وبين الإنسان

(١) وسائل الشيعة، ج: ٢٠، باب: ٩.

(٢) الكافي، ج: ٥، ص: ٣٣٦.

الذي يجد هدفه في تحقيق رغبات نفسه بعيداً عما يرضي الله.

وقد ورد في الحديث الشريف فيما رواه الإمام جعفر الصادق عن آبائه (ع) قال: «قال النبي (ص): ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله»^(١).

فقد اعتبر النبي الفائدة الكبرى - بعد الإسلام - هي الزوجة الصالحة المؤمنة التي يدفعها صلاحها وإيمانها إلى الوقوف عند حدود الله، والتضحية في سبيل إطاعة زوجها والعمل على إسعاده.



(١) وسائل الشيعة، ج: ٢٠، باب: ٩.

حرية الفتاة بالمطالبة بالزواج

لا بد لنا في هذا الاتجاه، من توجيه التربية الإسلامية إلى العمل على العناية بالفتاة المسلمة من أجل إيجاد الأجواء الصالحة لإقامة الأسرة المسلمة على أساس التربية الصالحة في شخصيّة الفتاة المسلمة، وإفساح المجال أمام الفتاة للتعبير عن رغبتها في الزواج، وعدم الإنكار عليها ذلك بحجة أنّه ينافي الحياء ويجرح الإحساس بالعفاف. وذلك لأنّ الحاجة إلى الزواج، سواء من ناحية الغريزة الجنسيّة أو من ناحية الحاجة إلى الاستقرار والسكينة في ظل الحياة الزوجيّة، من الأمور المشتركة بين الرجل والمرأة، فلا معنى لإعطاء الحق للرجل أن يعبر عن رغبته لأبيه أو للآخرين باعتبار ذلك حقاً طبيعياً له وحرمان المرأة منه بحجّة أنّه يتنافى مع آدابها العامة.

إنّنا نعتقد أنّ هذا من العادات التي لا تتناسب مع العقلية الإسلامية الواعية الواقعيّة التي تواجه الواقع من منطلق الصراحة والظروف الموضوعيّة التي تدفع إليه وتحيط به. وقد يرشدنا إلى ذلك أنّ الصيغة المتعارفة في شرعيّة عقد الزواج هي أن تبدأ المرأة في الإيجاب فتقول للرجل:

زَوْجَتِكَ نَفْسِي عَلَى مَهْرٍ قَدَرَهُ كَذَا. وَيَكُونُ الْقَبُولُ مِنْ طَرَفِ الزَّوْجِ بِلَفْظِ قَبِلْتُ. فَقَدْ نَلَاظُ فِيهِ اهْتِمَامُ الْإِسْلَامِ بِكَوْنِ الزَّوْاجِ مَبَادِرَةً طَبِيعِيَّةً مِنْ قَبْلِ الزَّوْجَةِ كَتَدْلِيلٍ عَلَى اعْتِبَارِ ذَلِكَ شَأْنًا مِنْ شَأُونِهَا الَّتِي تَمْلِكُ الْحَقَّ فِي التَّعْبِيرِ عَنْهَا قَبْلَ الْعَقْدِ وَبَعْدَهُ.

وَقَدْ نَسْتَفِيدُ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ بَعْضِ اللَّمَحَاتِ الرَّائِعَةِ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ الَّذِي نَقَلْنَاهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ (ع) أَنَّهُ قَالَ: «جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَتْ: زَوَّجْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَنْ لِهَذِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ زَوْجْنِيهَا، فَقَالَ: مَا تَعْطِيهَا؟ فَقَالَ: مَا لِي شَيْءٌ. فَقَالَ: لَا. قَالَ: فَأَعَادَتْ، فَأَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ الْكَلَامَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ غَيْرَ الرَّجُلِ ثُمَّ أَعَادَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ: أُتْحَسِنُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى مَا تَحْسِنُ مِنَ الْقُرْآنِ فَعَلَّمَهَا إِيَّاهُ»^(١).

فَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَعْتَبِرْ هَذَا الطَّلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ لِلزَّوْاجِ شَيْئًا غَيْرَ مُسْتَحَبٍّ أَوْ غَيْرِ طَبِيعِيِّ، بَلْ اعْتَبَرَهُ شَيْئًا عَادِيًّا، وَبَادَرَ إِلَى الْاسْتِجَابَةِ لَهُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَمْلِكُ

(١) الكافي، ج: ٥، ص: ٣٨٠.

أمر دفع المهر امتنع عن إتمامه، وألحّت المرأة بالطلب ثانية وثالثة، فلم يجد النبيّ في ذلك بأساً، فلو كان في هذا الأمر ما ينافي حياء المرأة أو عفافها أو كرامتها لنهاها النبيّ أو زجرها أو نصحها بأسلوب هادئ.

وعلى ضوء هذا، فلا بدّ للعاملين في سبيل الإسلام أن يفسحوا المجال للتخلّص من هذا التقليد المستند إلى مفاهيم ضيقة ظالمة، لأنّ بقاء هذا الواقع يجعل الفتاة تحت رحمة الظروف وحالة الانتظار السلبي ممّا يضطرّها إلى القبول ممّن قد يتقدّم لها حتى ولو افتقد الكثير من عناصر الكفاءة المطلوبة للزواج الناجح، وربّما يمضي الوقت دون أن يتقدم إليها أحد.

أمّا إذا أمكن لها أن تتسلّم زمام المبادرة في طلب الزواج، فإنّها تستطيع البحث عن زوج يتناسب مع شخصيّتها وطبيعتها، تماماً كما هو حال الرجل عندما ينطلق لبحث عن زوجةٍ تناسبه...

إنّنا نحتاج في التخلّص من هذه العقلية الضيقة إلى الارتباط بالمفهوم الإسلاميّ الأصيل الذي يقول - كما في بعض الأحاديث - لا غيرة في الحلال...



الضغوط العائليّة في الاختيار

قد تلعب الخلفيات العائليّة في ما ترغب من صفات الزوج أو الزوجة دوراً في إيجاد واقع ضاغط على إرادة الشاب والفتاة في عملية الاختيار، فيحاول الأب أو الأم أو الأقرباء الذين يملكون سلطة الضغط أن يفرضوا الزوجة التي يرونها للشاب، أو يفرضوا الزوج الذي يختارونه للفتاة انطلاقاً من علاقات ذاتيّة، تفرضها الصداقات الشخصية، أو الأوضاع العائليّة، أو الاعتبارات الماليّة أو الاجتماعيّة. وقد يتمثّل ذلك في بعض التقاليد العشائريّة التي تفرض زواج ابن العم لابنة العم، بالمستوى الذي يجعل له ولأهله الحق الاجتماعي في رفض أيّ إنسان يريد الزواج منها، حتى في الحالات التي لا تساعد الظروف على إتمام الزواج فيها لنفسه. وقد شارك هذا الواقع في حدوث كثير من المشاكل العاطفيّة والعائليّة والاجتماعيّة كنتيجة طبيعيّة لعدم الانسجام العاطفيّ أو الفكريّ أو الروحيّ بين الشاب والفتاة في هذه العلاقات المفروضة، بل ربّما نجد هنا انسجاماً مضاداً. إن صحّ التعبير. كما في الحالات التي يتمثّل فيها الشعور الداخلي في الرفض المطلق للشريك المفروض، أو التعاطف مع

إنسان آخر في حالة حب وانسجام، فترتكز الحياة الزوجية المفروضة على أساس التنافر والاختلاف والتصادم مما يعجل في حدوث المشاكل العاطفية والعملية، وقد يؤدي إلى انحرافات أخلاقية تفرض نفسها على واقع هذه الحياة..



إننا نشعر بضرورة التخلص من هذا الواقع، بالاعتراف بأن العلاقات الإنسانية التي ترتكز على المشاعر الداخلية العميقة للإنسان وعلى الانسجام الفكري والروحي بين الناس... لا يمكن أن تُفرض فرضاً، أو تُمارس بأسلوب الضغوط التي تخنق حرية الإرادة لدى الإنسان... بل يجب أن يُفسح المجال فيها لحرية الاختيار لدى الطرفين... ليتحمل كلُّ منهما مسؤوليته تجاه نفسه في تقرير مصيره ومستقبله.

أمّا في الحالات التي نجد فيها المصلحة في الاتجاه المعاكس الذي يسير فيه الشاب أو الفتاة، فبإمكاننا العمل على تقديم النصيحة لهما بمختلف الأساليب الفكرية والعاطفية ومحاولة عرض الواقع بالطريقة التي تجسّد

لهما الخطأ في هذه العلاقة الجديدة. ولا بدّ لمثل هذه الأساليب أن تؤدّي إلى النتيجة الطيّبة إذا سارت على طريق الحكمة والتعقّل. فإذا لم نصل إلى النتيجة التي نريدها فإننا نعتقد بضرورة إعطاء الحريةّ لهما للدخول في هذه العلاقة لمواجهة مصيرهما الذي يتحمّلان مسؤوليته، لأنّ ممارسة الضغط لمنع هذه العلاقة ربّما يضطرّهما إلى البحث عن ممارستها بشكل غير مشروع أو بطريقة بعيدة عن الرقابة الاجتماعية التي قد تحفظ الكثير من الخطى عن الانحراف والزلل.

وقد كان الإسلام منسجماً مع طبيعة الحريةّ الإنسانيّة في عمليّة الاختيار في العلاقة الزوجيّة ضمن الشروط الشرعيّة، فلم يوافق على أية علاقة تتمّ بالضغط والإكراه، ولم يعتبرها علاقة شرعيّة، لأنّ شرعيّة أيّة علاقة تنطلق من التعاقد وتخضع للإرادة الحرّة لدى المتعاقدين.

وقد يتحقّق بعض المجتهدين في اشتراط إذن الأب في صحّة تزويج البكر، انطلاقاً من بعض الأحاديث المرتكزة على أساليب وقائيّة. ولكن ذلك لا يمنح الأب سلطة عقد الزواج بعيداً عن إرادة الفتاة واختيارها الحرّ المطلق. فلو حدث أن تصرف الأب بعيداً عن إرادة الفتاة، لم يكن لهذا

التصرف أيُّه صفة شرعية . وإذا منعها من التزويج بالكفو، فلا احترام لرأيه، لأنَّ اعتبار إذنه في الزواج انطلق من مصلحة الفتاة، فإذا سار في غير مصلحتها فلا قيمة له في حساب الإسلام؛ ويمكنها في هذه الحالة إنشاء علاقة زوجية بالإنسان الكفو بعيداً عن مراعاة رأي الأب المتعنّت. وقد ورد في بعض الأحاديث المأثورة عن النبيّ محمد (ص) فيما روي عن ابن عباس: «أنَّ جارية بكرةً جاءت إلى النبيّ (ص) فقالت: إنَّ أبي زوجني من ابن أخٍ له ليرفع خسيسته، وأنا له كارهه فقال (ص): أجيّزي ما صنع أبوك. فقالت: لا رغبة لي فيما صنع أبي قال (ص): فاذهبي فانكحي من شئت. فقالت: لا رغبة لي عمّا صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء في أمور بناتهم شيء»^(١).

وقد جاء في الحديث عن بعض أئمة أهل البيت (ع) فيما رواه صفوان، قال: استشار خالد بن داود موسى بن جعفر (ع) في تزويج ابنته عليّ بن جعفر فقال: «افعل، ويكون ذلك برضاها فإن لها في نفسها حظاً»^(٢).

(١) مختلف الشيعة العلامة الحلي، ج: ٧، ص: ١٠٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج: ٢، باب: ٩.

وإذا كانت بعض الاجتهادات الإسلامية تتحفّظ فتعتبر
إنّ الأب في صحّة زواج العذراء مضافاً إلى رضاها، كما
أسلفنا، فإنّ ذلك يبقى محكوماً لحياة الأب، أمّا في حال
موته. فلا ولاية لأحد عليها من قريب أو من بعيد. أمّا في
الحالات التي يسبق لها الزواج ثم يموت زوجها أو تطلق
منه، فلا رأي لأبيها ولا لغيره بل هي أملك بنفسها من كلّ
أحد.

أمّا الشاب فله مطلق الحرية في أمر زواجه من دون
تحفّظ. ولكن ذلك لا يمنع من أن يتوقّف قليلاً ليتحرّك في
اختيار مصيره من موقع التأمل والتفكير والمشورة
وليدرك أنّه جزء من مجتمع صغير أو كبير. ولذا فلا بدّ له
من مراعاة الجوانب الأساسيّة التي تحكم علاقته
بمجتمعه، عندما يريد أن يدخل إليه عنصراً جديداً، لأنّ
طبيعة اختيار هذا العنصر، قد تترك تأثيراتها السلبية أو
الإيجابية على حياته وحياة الآخرين، الأمر الذي قد
يساهم في إفشال هذه العلاقة أو إنجاحها، أو في إثارة
المشاكل والتعقيدات التي قد تُفقد حياته الأجواء الهادئة
السعيدة.

ولهذا فقد يكون من الأفضل أن يتوقف كثيراً عند

الحسابات الواقعية التي تُعتبر أساساً للنجاح والفشل من ناحية موضوعية، وذلك بدراسة طبيعة القضية من خلال خصائصه الذاتية، ثم محاولة التعمق فيها من حيث علاقتها بالمجتمع من حوله بالرجوع إلى آراء الآخرين الذين قد يجد عندهم بعض الملاحظات الحيوية التي لم يلتفت إليها لأنَّ الحالة العاطفية الشديدة قد تفقد الإنسان الملاحظة الذكيَّة المنطلقة من الموقع الحياديَّ في النظرة إلى الواقع.

ولعلَّ من أكثر الناس ارتباطاً بذلك هم الوالدان والأقربون، فقد يُرَجَّح للإنسان أن لا يغفل الأخذ بوجهة نظرهم كأساس للتأمل. فإذا لم يجد في وجهة نظرهم جانباً أساسياً يبعث على التحفُّظ أمكن أن يتجاوزهم ويقف مع مصلحته الأساسية في الموضوع. وقد وردت بعض اللمحات الرائعة التي تؤكد هذا الخط الذي يمنح الإنسان الحرية في الوقوف ضدَّ إرادة الأبوين إذا لم يكن ذلك منسجماً مع مصلحته وعاطفته. فقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق (ع) فيما رواه ابن أبي يعفور عنه قال: «قلت له: إنني أريد أن أتزوَّج امرأة وإن أبواي أرادا أن يزوَّجاني غيرها فقال: تزوَّج التي هويت ودع التي يهوى

وقد ينبغي للأبوين أن يدركا جيداً الطبيعة العملية لهذا الخط ويعرفا أن العاطفة الساذجة لا تبني حياة، وأن علاقاتهما الذاتية بالأشياء لا تربط أولادهما بها، لأنها تخضع لظروف خاصة قد تكون في غير مصلحة الأولاد... إذ إن الأولاد قد يرتبطون بعلاقات تتناسب مع ظروفهم وأفكارهم، فلا يجوز أن يفرضوا عليهم ما لا يريدون أو يضغطوا على إرادتهم فيختارون - من موقع الضغط - ما لا يتناسب مع طبيعة الحياة التي يحبونها، والأجواء التي يريدون أن يعيشوا فيها. وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال: «رحم الله من أعان ولده على برّه، قال، قلت: كيف يعينه على برّه؟ قال: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهبه ولا يخرق به»^(٢).



(١) وسائل الشيعة، ج: ٧، ص: ٣٣٠.

(٢) الكافي، ج: ٦، باب برّ الأولاد، حديث: ٦.

خاتمة

إنَّ علينا أن نعمل، إذا أردنا التأكيد على صفة الإسلام في وجودنا أو أردنا أن يرتاح الإنسان في ظلّ الإسلام.

إنَّ علينا أن نعطي لأنفسنا في كلِّ مرحلة من مراحل حياتنا فرصة نتأمَّل فيها عاداتنا وتقاليدينا، ونتدارس الظروف التي هيأت لولادتها، ثم ندرس ظروفنا مقارنةً بتلك الظروف، ثم نتَّخذ الموقف في ضوء هذه المقارنة الواعية على هدى الأسس التشريعيَّة الخالصة الثابتة التي ارتكز عليها الإسلام في مفاهيمه ومصاديقه وفي تخطيطه الشامل للحياة، لننطلق على أساس من وعي وعلى أساس من تأمل عميق ولنطوِّر حياتنا على صورة الإسلام الحقِّ قبل أن يطوِّرها الآخرون على غير صورته عندما تندفع الحياة لعملية التطوير.

إنَّنا إذا لم ندرس مشاكلنا أو نعالجها معالجة علميَّة موضوعيَّة هادئة فسوف يأتي الآخرون ليفرضوا العلاج الذي يصفونه من خلال الفكر الذي يطرحونه للحياة. وعند ذلك نعيش الضياع والازدواجيَّة بين العقيدة والممارسة أو بين النظريَّة والتطبيق.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
١٢	الأسرة في خطى المسؤولية
٢٠	دور الأسرة في تربية الشخصية
٢٤	مسؤوليتنا في حفظ الأسرة كمؤسسة
٢٥	مع سلبيات نظام الأسرة
٢٧	الإيجابيات تتحدى السلبيات
٣١	الزواج بين المادة والروح
٣١	هل الزواج شركة أم وحدة
٣٦	مع المشاكل العملية في واقع الزواج المعاصر:
٣٦	* مشكلة غلاء المهور
٤١	* مشكلة التعقيد في البيت الزوجي
٤٤	* مشكلة المستوى الطبقي
٥٧	* العناصر الطارئة في اختيار الزوجة
٦٦	* حرية الفتاة بالمطالبة بالزواج
٦٩	* الضغوط العائلية في الاختيار
٧٧	خاتمة

